قواعد التفسير في معجم "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني

أ.د. سامي عبد الله أحمد الكناني *

توطئة

إن كتاب:"المفردات" للراغب الأصفهاني[1]. من أحسن المصنفات في معرفة غريب القرآن[2]. وهو من أهم المصادر التي لا يمكن لأي عالم من علماء القرآن واللغة الاستغناء عنه،لأنه يتضمن فوائد جمة في الدرسين القرآني واللغوي.

فهو ينفع قراء كتاب الله، لأن مؤلفه أسهب كثيرا في شرح الألفاظ القرآنية شرحا لغويا، كما فسر بعضها تفسيرا دينيا.

فالراغب يدور مع معاني الألفاظ مهما اختلفت وتعددت، مستأنسا بأدلة كثيرة ابتداء من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وانتهاءا بما أثر عن العرب من شعر وأمثال وأساليب لغوية. فقد أجاد في هذا المضمار إجادة تامة، وبلغ غايته في تفسير غريب القرآن.

فالمؤلف بهذا الأساس إنما يقدم في مفرداته خدمات كبيرة للغة العربية بما يورده من الصيغ العديدة والمشتقات الكثيرة للمادة اللغوية، ينهل منها المتخصصون في الدرس اللغوي وغير المتخصصين.

فهو بهذا المنهج أحيا الطريقة اللغوية

---

* أستاذ التعليم العالي في اللغة العربية، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة.

1) – هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني من بلاد فارس، له منزلة مرموقة وباع طويل في الثقافتين القرآنية واللغوية خاصة في التفسير واللغة والآدب، أشهر مؤلفاته كتاب مفردات القرآن وهو موضوع دراستنا، وله أيضا تفسير كبير. توفي سنة 502هـ. انظر ترجمته في إنباه الرواه للقفطي 111/3، وبغية الوعاة للسيوطي 297/2 ، وطبقات المفسرين للدواوي 328/2.

2) – البرهان للزركشي 201/1.

الوقوف على الغرض منه من سبيل قريب.

لقد رتب الراغب مفرداته ترتيبا ألفبائيا ليسهل على الباحثين الحصول على مرادهم من غير صعوبة وفي مدة وجيزة.

فهو يقسم تفسيره إلى أقسام سمى كل قسم منها كتابا، وهي موزعة على حسب ترتيب الحروف الهجائية الألفبائية كأن يقول مثلا: كتاب الألف، كتاب الباء، كتاب التاء..... وهكذا إلى آخر الحروف العربية.

ويعنون المصنف للمادة اللغوية في أكثر الأحيان بالحرف الأول مع الثاني للفظة القرآنية المقصود شرحها، فمثلا يقول: كتاب الألف مع الباء، الألف مع التاء، الألف مع الثاء..... إلى آخره.

ويفعل ذلك إذا آنتقل إلى الحرف الثاني، ويمضي على تلك الطريقة إلى آخر حروف الهجاء.

إن الراغب يدور مع اللفظة القرآنية الغريبة في كثير مما ورد فيها من معان مختلفة ومتعددة،فكتابه كما هو واضح من عنوانه- جامع لكل ما ورد في القرآن الكريم من الألفاظ الغريبة، وقام المؤلف بتفسيرها تفسيرا وافيا، وأبان عن كل ما يرتبط بها من معان واشتقاقات.

وليس غريبا أن يكون الراغب بهذا المستوى، فله باع طويل في اللغة العربية وعلومها المختلفة، وثقافته فيها واسعة إلى حد كبير، فما ألفه من مصنفات في مجالي التفسير واللغة، يشهد له بها جميع من ترجم له، ومن أخذ عنه، على علو كعبه، ومكانته المرموقة، وبلوغه الذروة حتى ذاع صيته فطار في الآفاق، وتصدى للتدريس، وصنف الكثير، وأبرز مصنفاته كتاب "المفردات في غريب القرآن" الذي نحن بصدد دراسة منهجه. فالدارس لهذا الكتاب يستقرئ إحاطه مؤلفه بدقائق اللغة وغرائبها، وإلمامه الواسع فيها.

إن عناية الراغب الكبيرة بقضايا اللغة، واهتمامه البالغ بها تظهر جليا من خلال

شرحه لألفاظ الغريب في كتاب الله المجيد، وتتبع أصولها وآشتقاقها، وهو يلتمس الشاهد إثر الشاهد من القرآن والحديث ومن كلام العرب شعرا كان أو نثرا.

فالعربية وما تشتمل عليه من بيان لمعاني المفردات، وتعريف بالمشتقات من أهم الأسس التي يعتمد عليها أهل التفسير خاصة اللغويين منهم، لأن اقتحام ميدان التفسير من غير الرجوع إلى اللغة والتسلح بها أمر له آثاره السيئة على المفسر.

وأول صورة نلمحها في كتاب "المفردات" هي تتبع المؤلف اللفظ القرآني الغريب، وتبيين مختلف المعاني التي جاءت فيه، وذلك من أول وهلة من الكتاب.

كما يؤكد الراغب في مقدمة غريبة هذا أن أول ما يحتاج إليه المفسر من علوم القرآن: العلوم اللفظية[1]. ومن تلك العلوم تحقيق الألفاظ المفردة.

وينبه أيضا على أن تحصيل معاني ألفاظ القرآن الكريم هو الطريق الأول لمن يريد أن يدرك معانيه.

ويبين المصنف أن ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته، وعليها اعتماد الفقهاء والمفسرين، وإليها مفزع البلغاء والشعراء في نثرهم ونظمهم.

وبمقتضى ذلك نلاحظ أن المؤلف قد أورد جميع الألفاظ الغريبة التي جاءت في كتاب الله العزيز، وبين معانيها المختلفة مستأنسا بشواهد كثيرة ومتنوعة.

ويحاول الراغب أن يفسر تلك الألفاظ، ويوضحها توضيحا خاليا من أي ابهام باللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

كما يستعرض في مفرداته مباحث لغوية كثيرة يحاول بها أن يزيل أي غموض في اللفظ الغريب فيبين مدلوله.

لقد أفاد المصنف من تضلعه في مناهل العربية، وسقياه من رحيق أدبها بتذوق أسلوب التنزيل، والكشف عن غوامض

---

1) – انظر مقدمة المفردات (المقدمة).

معانيه.

وتصدى لدراسة ذلك وفق منهج أدبي قائم على تتبع دلالات ألفاظه في أحوالها الإفرادية والتركيبية، وقدم لنا تفسيره المفردات متضمنا معجما قرآنيا حافلا بدراسة مفردات القرآن الغريبة من زواياها اللغوية المتعددة.

ونحاول أن نسلط ضوءا كاشفا على "المفردات" لمعرفة منهج المؤلف والقواعد التي سلكها في تحقيق أغراضه من تأليفه ذلك التفسير؛ وأبرز تلك القواعد المنهجية هي:

أولا- العناية بالتفسير اللغوي

يهتم المصنف بالمعنى اللغوي للفظه القرآنية الغريبه، نحو تفسيره لمعنى "البخس" الوارد في قوله تعالى: (وهم فيها لايبخسون)، وقوله جل وعلا: (ولاتبخسوا الناس أشياءهم) بأنه نقص الشئ على سبيل الظلم[1].

ويفسر معنى "الضنك" في قوله تعالى: (معيشة ضنكا) بأنه الضيق، والمقصود منه هنا ضنك العيش[2].

ويميز الراغب بين مدلولين للفظة واحدة، ففي قوله تعالى: (بل الذين كفروا عزة وشقاق) يؤكد أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية والعزة الحقيقية، وأما التي للكفار فهي التعز، وحقيقتها الذل[3].

كما يؤكد أن "الوجس" من قوله تعالى: (فأوجس منهم خيفة) هو حالة تحصل من النفس بعد الهاجس، لأن الهاجس مبتدأ التفكير، ثم يكون الواجس الخاطر[4]. فيلمح الراغب هذا المعنى فيربط بين أمرين ليصل إلى حقيقته.

---

1) - المفردات مادة "بخس" والآيتان 15/هود و 85/الأعراف.

2) - المصدر نفسه مادة "ضنك" والآية 124 /طه.

3) - المصدر نفسه مادة "عز" و الآية 2/ص.

4) - المصدر نفسه مادة "وجس" والآيتان: 15/الرعد و 24/إبراهيم.

وضمن هذا المنهج يدور الراغب مع المعنى المراد للفظة الغريبة بالتحليل والمتابعة كما يفعله أصحاب المعاني. ففي قوله تعالى: (بالغدو والآصال) مثلا يقول: "أي: العشايا، يقال للعيشة: أصيل وأصيلة....

وأصل الشئ قاعدته التي لو توهمت مرتفعه لآرتفع بآرتفاع سائره، ولذلك يقول الله تعالى: (أصلها ثابت وفرعها في السماء) [1].

ويراعي الراغب قضية الاشتقاق، وهو توليد بعض الألفاظ من بعض[2]، بحيث ترجع جميع المشتقات إلى أصل يحدد معناها المشترك ويشير إلى معناها الخاص.

فهو يرجع اللفظة لأصولها العربية من أجل الوصول إلى المعنى، وهي سمة بارزة في منهجه اللغوي، ففي لفظه "برزخ" مثلا من قوله تعالى: (بينهما برزخ لايبغيان) يذكر أن أصلها "برزه" وهو غير عربي فعرب[3].

وفي لفظة "بضع" يقول "البضاعة: قطعة وافرة من المال تقتنى للتجارة: يقال: أبضع بضاعة وابتضعها، قال تعالى: (هذه بضاعتنا ردت إلينا) يبين أن الأصل في هذه الكلمة "البضع" وهو جملة من اللحم تبضع؛ أي: تقطع[4].

ويبين أن لفظة "ملك" مشتق من "مالك"، و"سنه" مشتقة من "سنهه"، و"آية" مشتقة من "التأيي" الذي هو التثبت والإقامة على الشئ، ويقال: "تأي: أي ارفق"[5].

---

1) – المصدر نفسه مادة "أصل" والآيتان 15 /الرعد و 24/إبراهيم.

2) – طرق تنمية الألفاظ، للدكتور إبراهيم أنيس ص 41.

3) – المفردات مادة "برزخ" والآية 20 /الرحمن.

4) – المصدر نفسه مادة "بضع" والآية 65 /يوسف.

5) – المصدر نفسه، المواد اللغوية: ألك و سنه و آي.

ويهتم الراغب أيضا بوجوه الألفاظ المتعددة ونظائرها، المتحدة المعنى ليدعم قضية التفسير والمعنى المطلوب للفظ الغريب.

ففي قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) مثلا يذكر أن: "الأسوة والقدوة بمعنى واحد: وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره"[1].

وفي قوله تعالى:(فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) يذكر أن: "الإبدال والتبدل والتبديل والإستبدال كلها بمعنى واحد هو: جعل شئ مكان آخر، وهو أهم من العوض"[2].

ومنه قوله تعالى: (دعوا هنالك ثبورا) يوضح المفسر أن الثبور والهلاك والفساد هي نظائر بمعنى واحد[3].

ويراعي الراغب ضمن منهجه اللغوي تحري النقائض بين الألفاظ لخدمة المعنى المراد فيذكر أن "الجن" نقيض "الإنس" و"الباطل" نقيض "الحق"، وضد "الخوف: الأمن"[4].

ويدور المصنف مع اللفظة في جميع معانيها المتعددة، وهو باب واسع أطلق عليه العلماء "الاشتراك"، بأن تتصرف اللفظة الواحدة إلى معنيين أو أكثر، بدلالة متساوية على المعاني[5]، في لغة واحدة، قال ابن فارس: "هو أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر كقوله تعالى: (فآقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل) [6]، فقوله/ "فليلقه" مشترك بين الخبر والأمر،

---

1) – المصدر نفسه مادة "أسا" والآية 21 /الأحزاب.

2) – المصدر نفسه مادة "بدل" والآية 59 /البقرة.

3) – المصدر نفسه مادة "ثبر" والآية 13 /الفرقان.

4) – المصدر نفسه المواد اللغوية: أنس و بطل و خوف.

5) – المزهر، للسيوطي 369/1.

6) – طه/39.

كأنه قال: فآقذفيه في اليم يلقه اليم، ومحتمل أن يكون اليم أمر بإلقائه"[1].

إن أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة، لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في ذلك المعنى، أو في تلك الصفة[2].

وقد أشار سيبويه إلى الإشتراك في تقسيمه للكلم، وهو القسم الذي عبر عنه بـ"اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين" ومثل له بقولهم: "وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثي[3]"، وعنه أخذ قطرب هذا التقسيم وقرره، وقد أنكره أبو علي الفارسي وابن درستويه[4].

وأكثر الراغب من ذكر المشترك،و يتحرى استعمال كتاب الله المجيد في تعدد المعاني للفظة الواحدة، من ذلك لفظة "الأب" التي تعددت معانيها في القرآن الكريم، فسمى الوالد أبا، وسمى العم أبا، والجد أبا، ومعلم الإنسان أبا، ويورد الشواهد من القرآن على كل معنى[5].

ويتصيد المعاني المختلفة للفظة "نفس" فهي بمعنى: الروح، والذات، والفرج. ويورد لكل معنى شواهد من القرآن الكريم[6].

وفي كلمة "هجر" يذكر لها عدة معان منها: مفارقة الإنسان ببدنه، أو بلسانه، أو بقلبه، والهجر: الكلام القبيح المهجور لقبحه[7].

ثانيا- العناية بقضايا النحو والاعراب

---

1) – الصاحبي، أحمد بن فارس ص 269.
2) – فقه اللغة وخصائص العربية،محمد المبارك ص 168.
3) – الكتاب 24/1.
4) – اضداد قطرب ص 243.
5) – المفردات مادة "أب".
6) – المصدر نفسه مادة "نفس".
7) – المصدر نفسه مادة "هجر".

إن الإعراب باعتباره أحد الدراسات اللغوية، فبعد وضع الضوابط النحوية وإرساء قواعدها على أيدي أئمة النحو الأوائل هو الآخر دخل ميدان التفسير منذ نشأته، لأن النحو إنما نشأ لخدمة القرآن مصدر التشريع الأول، وصون اللسان من اللحن. فمن مجالات البحث في القرآن إعراب لفظه، وقد قالوا: إن الإعراب فرع المعنى، ومن يجلى لنا إعرابه يكشف لنا عن معان فيه. من أجل ذلك اهتم المفسرون بالنحو والإعراب لخدمة تفسير كتاب الله.

ففي مجال الصنعة النحوية نجد الراغب قد عني بقضايا الإعراب عنايته بالبحث اللغوي المعجمي لألفاظ غريب القرآن.

يقوم منهجه في هذا الباب على نقل أوجه الإعراب، واهتمامه بتصريف الألفاظ، وهو في الأعم الأغلب لاينسب الأقوال والوجوه الإعرابية لأصحابها إلا في مواضع قليلة.

فمثلا أنه يذكر أهمية همزة الإستفهام في بعض استعمالاتها فيقول: " وإذا دخلت الألف على نفي تجعله إثباتا، لأنه يصير معها نفيا: يحصل منهما إثبات نحو: (ألست بربكم)،(ألـيس الله بأحكم الحاكمين)،(أو لم يروا أنا نأتي الأرض....)، (أو لم تأتهم بينة....)، (أولا يرون)،(أو لم نعمركم) [1].

ويتحرى في موضع آخر معنى "ثم" في كتاب الله المجيد فيقول: "هي حرف عطف يقتضي تأخر ما بعده عما قبله، إما تأخيرا بالذات، أو بالمرتبة، أو بالوضع حسبما ذكر في "قبل" وفي "أول".

يورد جملة من الشواهد القرآنية فيقول: "قال الله تعالى: (أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون)، وقوله: (ثم قيل للذين ظلموا)، وقال عز

---

1) – المصدر نفسه مادة "الألف" والآيات 172/الأعراف و 8/التين و 41/الرعد و 133 /طه و 126/التوبة و 37/فاطر.

وجل: (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك) وأشباهه"[1].

والراغب بما يملك من حاسة نحوية متميزة يتحرى بدقة الفروق في الإستعمال ما بين بعض الأدوات، فهو يفرق بين حرفي الجواب "نعم" و"بلى" فيقول: "بلى: رد للنفي نحو قوله تعالى: (وقالوا لن تمسنا النار) قالوا: (بلى من كسب سيئة)، أو جواب لاستفهام مقترن بنفي نحو: (ألست بربكم قالوا بلى).

ونعم: يقال في الاستفهام المجرد نحو قوله تعالى: (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قالوا: نعم)، ولايقال هاهنا: بلى"[2].

وفي موضع آخر يفرق في استعمالات "بين" في باب النحو، قال تعالى: (لقد تقطع بينكم) يذكر أن "بين" جاءت بمعنى الوصل، وهي تستعمل في أبواب النحو تارة اسما، وتارة ظرفا[3].

وفي باب التصريف يتحرى أصل لفظة عربية وهي "كينونة" فينقل عن بعضهم أنها "فعلولة"، وعند سيبويه "كيونونة" على وزن "فيعلولة" ثم أدغم فصار "كينونة" ثم حذف فصار "كينونة" كقولهم: في "ميت: ميت"[4].

يعقب فيقول إنهم لم يقولوا "كينونة" على الأصل كما قالوا في "ميت" لثقل لفظها[5].

ومن مظاهر هذا المنهج بيانه لوظائف الأدوات النحوية كالذي ينقله في "أما" فيقول: "هي حرف تقتضي معنى أحد الشيئين، ويكرر، نحو قوله تعالى: (أما

---

1) – المصدر نفسه مادة "ثم" والآيات 51، 52/يونس و 52/البقرة.

2) – المصدر نفسه مادة "بلى" والآيات 80، 81/البقرة و 172/الأعراف و 44/الأعراف.

3) – المصدر نفسه مادة "بين" والآية 94 /الأنعام.

4) – انظر الكتاب 365/4.

5) – المفردات مادة "كون".

أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب). ويبتدأ بها الكلام"[1].

وقد ينسب أحيانا الأقوال لأصحابها فيصرح بأسمائهم كما في قوله تعالى: (وقلن: حاش لله) يقول: "قال أبو عبيدة: هي تنزيه واستثناء. وقال أبو علي الفارسي رحمه الله: "حاش" ليس باسم، لأن حرف الجر لا يدخل على مثله، وليس بحرف لأن الحرف لايحذف منه ما لم يكن مضعفا"[2].

وفي موضع آخر لدى تفسيره "هاتوا" الواردة في قوله تعالى: (قل هاتوا برهانكم) يقول: "قال الفراء: ليس في كلامهم "هاتيت" وإنما ذلك في ألسن الخبرة، قال: ولايقال: "لاتمات". وقال الخليل: المهاتاة والهتاء مصدر: "هات"[3].

وتقوده حاسته النحوية إلى التفاضل بين الوجوه الإعرابية التي يوردها فيوازن فيما بينها ويرجح بعضها على بعض.

ففي قوله تعالى: (وكفى بالله) يذكران معناه "كفى الله...." وهي كقوله سبحانه: (وكفى الله المؤمنين القتال) الباء زائدة.

يضعف الراغب هذا القول فيعقب قائلا: "ولو كان ذلك كما قيل لصح أن يقال: "كفى بالله المؤمنين القتال" وذلك غير سائغ، وإنما مجئ ذلك حيث يذكر بعده منصوبا في موضع الحال.

ثم يذكر الوجه الصحيح فيقول: "والصحيح أن "كفى" هنا موضع "أكتف" كما أن قولهم: "أحسن بزيد" موضوع موضع "ماأحسن" ومعناه: إكتف بالله شهيدا"[4]. فهو يراعي المعنى

---

1) – المصدر نفسه مادة "أم" و الآية 41 /يوسف.

2) – المصدر نفسه مادة "حوش" والآية 31 /يوسف.

3) – المصدر نفسه مادة "هات" ومادة "هيت".

4) – المصدر نفسه مادة "كفى" والآيتان 79 /النساء و 25/الأحزاب.

على هذا الوجه.

وقد يستجيد وجها إعرابيا لجمال معناه كالذي جاء في قوله تعالى: (إذ دخلوا عليه فقالوا: سلاما، قال: سلام) يقول: "إنما رفع "سلام" الثاني، لأن الرفع في باب الدعاء أبلغ، فكأنه تحرى في باب الأدب المأمور به في قوله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) فيربط بين الوجه المختار وسياق القرآن والمعنى المراد[1].

وهو يرفض الوجوه التي تخالف المعنى ولاتطلبه، ففي قوله تعالى: (عينا يشرب بها المقربون)، وقوله جل وعلا: (عينا يشرب بها عباد الله) يقول: "إن بعض النحويين يرى أن الباء هنا بمعنى "من".

يقول معقبا: "والوجه أن لايصرف ذلك عما عليه، وأن "العين" هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء لا إلى الماء بعينه نحو: "نزلت بعين" فصار كقولك: مكانا يشرب، وعلى هذا قوله سبحانه: (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أي بموضع الفوز"[2].

ويجري الراغب أحيانا لدى تحريه الصنعة النحوية إلى الاستطراد، فهو يملك ثقافة كبيرة وآطلاعا واسعا في النحو والتصريف، ولايخلو ذلك من فائدة للمتخصصين في الدراسات القرآنية والنحوية.

نورد له مثالين من هذا المنحى، أحدهما: في تحريه استعمالات "ما" في القرآن الكريم وفي اللغة فيورد لها خمسة معان هي:

الأول: من الأسماء استعملت بمعنى "الذي"، قال تعالى: (ويعبدون من دون الله مالايضرهم....) ثم قال تعالى: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) لما أراد الجمع، وقال

1) – المصدر نفسه مادة "سلم" والآيتان 25 /الذاريات و 86/النساء.

2) – المصدر نفسه مادة "الباء" والآيات: 28 /المطففين و 6/الإنسان، و 188/آل عمران.

جل وعلا: (ويعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقا.... الآيه)، وقال: (بئسما يأمركم به إيمانكم).

والثاني: تكون "ما" نكره، قال تعالى: (نعما يعظكم به) أي: نعم شيئا يعظكم. وقوله تعالى: (فنعما هي) فقد أجيز أن يكون "ما" نكرة كما في قوله سبحانه: (بعوضة فما فوقها)، وقد أجيز أن تكون صلة، فما بعده يكون مفعولا تقديره: أن يضرب مثلا بعوضة.

والثالث: الإستفهام، ويسأل به عن ذلك الشئ ونوعه وعن جنس صفات الشئ ونوعه.

والرابع: وذكر بعض النحويين أنه قد يعبر به عن الأشخاص الناطقين كقوله تعالى: (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم)، وقوله جل وعلا: (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ).

والخامس: التعجب نحو قوله تعالى: (فما أصبرهم على النار) [1].

والمثال الثاني ما نقله في "لات" الواردة في قوله تعالى: (ولات حين مناص) [2]. يورد في معانيها عدة أقوال:

أحدها: وهو قول الفراء، وتقدير اللفظ "لاحين" والتاء زائدة فيه كما زيدت في: ثمت وربت[3].

والثاني: أن معناه: ليس، وهو قول بعض البصريين[4].

والثالث: قاله أبو بكر العلاف: وأصل اللفظ "ليس" فقلبت الياء ألفا وأبدل من السين تاءا كما قالوا: "نات في ناس".

والرابع: قال بعضهم أصل اللفظ "لا" وزيد فيه تاء التأنيث تنبيها على

---

1) – المصدر نفسه مادة "ما" والآيات: 18/يونس و 73/النحل و 93/البقرة و 58النساء و 271/البقرة و 26/البقرة و 6/المؤمنون و 42/العنكبوت.

2) – ص/3.

3) – معاني القرآن، للفراء 397/2.

4) – المصدر نفسه ص 335.

الساعة[1]. أو المدة كأنه قيل: ليست الساعة أو المدة حين مناص[2].

فما أكثر المواضع التي يستطرد فيها الراغب خاصة لدى عرضه للأدوات الإعرابية، فما يدل على سعة آطلاعه وتبصره في النحو والإعراب وتعمقه بهما[3].

ثالثا- موقفه من الشواهد

تمثل الشواهد المختلفة مصادر الدرس اللغوي، وكان اهتمام القدماء بها كبيرا، وهي كما يلي:

1- القرآن الكريم وقراءاته

يعد القرآن الكريم أعلى أنواع الشواهد وأفضلها، لأنه أفصح الكلام وأبلغ التعبير.

فقد أجمع الأئمة والعلماء المسلمون القدامى منهم[4]، والمحدثون[5]. على فصاحة كتاب الله وبلاغته، فهو سيد الحجج، ورأس الشواهد في توثيق الألفاظ مفردات وتراكيب، لأنه كلام الله تعالى الذي لايأتيه الباطل لامن بين يديه ولا من خلفه، وبالتالي فهو أعلى نص عربي فصيح، وفي قمة الشواهد النحوية واللغوية باعتباره النص المتواتر الذي توفر للعلماء العناية به وضبطه.

فالقرآن الكريم بحكم طريقة نزوله، والأهداف التي كان يتوخاها من وراء تلك الطريقة التدريجية جملا جملا، وآيات آيات، جاء في بعض الأحيان مبينا لما قد أجمله سابقا، أو مقيدا لما كان أطلقه، أو مخصصا لما كان عاما، أو ناسخا لحكم

---

1) – المفردات مادة "لات".

2) – وشواهده في هذا الباب كثيرة جدا.

3) – معاني القرآن، للفراء 14/1، و المزهر للسيوطي 213/1.

4) – انظر: تاريخ اللغات السامية، إسرائيل و ص206.

5) –وهي أحسن الطرق في تفسير كتاب الله المجيد و أولى الخطوات ص 206 انظر: البرهان للزركشي 256/2 والإتقان للسيوطي 200/4. ومقدمة في أصول التفسير لابن تيميه ص 32.

كان ثابتا في وقت سابق.

وهذه الطريقة من القرآن تسمح لنا أن نستفيد من بعض الآيات القرآنية لنفهم بها آيات أخرى. فالقرآن يفسر بعضه بعضا[1]، وإن أسد المعاني مادل عليه القرآن نفسه[2].

ورائد هذه الطريقة هو النبي (ص) المفسر الأول لكتاب الله المجيد، اتبعها المفسرون من صحابة وتابعين، وسلكها عموم المفسرين كأحسن الطرق في التعرف على معاني القرآن وأصوبها، واتخذت منهجا عاما لتفسير كتاب الله، ولهذه الطريقة علاقة وثيقة في تفسير القرآن بالقرآن سلكها المفسرون وبخاصة أصحاب الإتجاه الأثري، كما أنها ترتبط بفكرة السياق التي سنوضحها لاحقا.

ومن هنا نزع المفسرون من أهل اللغة طيلة القرون الأولى للإستعانة بالقرآن الكريم نفسه في توثيق معاني نصوصه.

ونهج الراغب أسوة بغيره ممن تقدموه من أصحاب المعاني والغريب للإستعانة باللغة التي تستمد قوتها من كتاب العربية الأول القرآن بالدرجة الأولى.

وأول خطوة يخطوها هذا المفسر في منهجه العام هي استعانته بالآيات من كتاب الله ليفسر بها آيات أخرى، وجل كتابه قائم على ذلك، وغرضه دائما دعم معنى اللفظ الغريب وغيره.

فهو مثلا يبين معنى (الظلم) من قوله تعالى: (ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) بأنه انتقاص الحق، بدليل قوله جل وعلا: (كلتا الجنتين آتت أكلها و لم تظلم منه شيئا) أي: تنقص[3].

ويفسر معنى (البلاء) في قوله سبحانه:

---

1) – وهو قول مشهور للإمام علي كرم الله وجهه في نهج البلاغة.

2) – الكشاف، للزمخشري 456/1 و 2/ 193.

3) – المفردات مادة "ظلم" والآيتان 35/البقرة و 33/الكهف.

(وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) بأنه يستعمل في الخير والشر بدليل قوله تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير) [1].

ولا يتوقف الراغب على الشاهد القرآني الواحد، بل يتعدى ذلك إلى الشاهدين والأكثر للإستدلال بها على معاني المفردات الغريبة.

فنراه يفسر (الإتيان) بأنه يستعمل للمجئ بالذات وبالأمر بالتدبر، كما يقال في الخير وفي الشر، وفي الأعيان والأعراض، يقول تعالى: (إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة)، ويقول جل وعلا: (أتى أمر الله)، ويقول سبحانه: (فأتى الله بنيانهم من القواعد) [2].

ويفسر معنى (الإذن في الشئ) بأنه إعلام بإجازته والرخصة فيه، بدليل قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) أي: بإرادته وأمره، وقوله سبحانه: (وماأصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله)، وقوله أيضا: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)، وقوله جل وعلا: (وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله) [3].

وهكذا يمضي الراغب على هذا النمط في الاستعانه بكتاب الله المجيد من أجل توضيح الكثير من معاني ألفاظ غريب القرآن وغيرها مما ورد في القرآن الكريم نفسه، فلا تخلو ماده أو مفردة أثبتها في مفرداته إلا وقد استشهد لها بنصوص من كتاب الله من أجل تقريب المعنى الذي يرتضيه، وتلك مزية عرف بها المفسرون من أهل اللغة، الذين جعلوا القرآن نفسه مصدرا أساسيا لاستقراء أحكامهم وتوثيق

---

1) – المصدر نفسه مادة "بلي" والآيتان 141 /الأعراف و 35/الأنبياء.

2) – المصدر نفسه مادة "أتى" والآيات 40 /الأنعام و 1،26/النحل.

3) – المصدر نفسه مادة "إذن" والآيات 34 /النحل و 166/آل عمران و 102/البقرة و 10 /المجادلة.

المعاني.

ومن مظاهر منهجه اللغوي أيضا في هذا الكتاب عنايته بالقراءات القرآنية المختلفة والاستشهاد بها في توثيق المعنى، بيد أنه لم يكن مكثرا منها، لكن دعته الحاجة أحيانا في الاعتماد على بعض منها.

واحتجاجه بالقراءات التي أخذ بها في جلها هو المشهور وجل ما يعتمده منها يورده خاليا من أي توجيه إلا في موارد قليلة فقط.

فنراه مثلا حين يعرض القراءات يكتفي بذكرها دون توثيق أو نسبة، ففي قوله تعالى: (وسيصلون سعيرا) [1]. مثلا يقول: "سيصلون" بضم الياء وفتحها"[2].

وفي قوله تعالى (قل فيهما اثم كبير...) [3]. يقول: "قرئ: "كثير" و "كبير"[4].

ومثله يقول في لقطة "ننشرها" من قوله تعالى: (وانظروا إلى العظام كيف ننشرها) [5]. "وقرئت بضم النون وفتحها"[6].

وقلما نجده يوجه القراءات توجيها لغويا أو نحويا لغرض الوصول الى المعنى المراد. ففي قوله تعالى: (أمرنا مترفيها) [7]، يورد قراءتين في "أمرنا" إحداهما: "أمرنا" بالتخفيف، أي: أمرنا بالطاعة. وقيل معناه: كثرناهم.

قال أبو عمرو: "أمرت" بالتخفيف في

---

1) – النساء/10.

2) – المفردات مادة "صلا" الفتح قراءة إبن عامر وعاصم، والضم قراءة أبي حبوة. انظر اعراب القرآن للنحاس 438/1.

3) – البقرة/219.

4) – المفردات مادة "كبر" الأولى قراءة الكوفيين و الثانية قراءة أهل الحرمين وأبي عمرو.

5) – البقرة/259.

6) –المفردات مادة "نشز" الضم قراءة طلحة بن مصرف، والفتح قراءة ابن عباس والحسن.

7) – الإسراء/16.

"كثرت" وإنما يقال: أمرت وأمرت.

وقال أبو عبيدة: قد يقال: "أمرت" بالتخفيف نحو: "خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة" وفعله "أمرت".

وقرئ "أمرنا" بالتشديد- أي جعلناهم أمراء.... وعلى هذا حمل قوله تعالى: (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) [1]. ثم يعقب قائلا: "إن قراءة التشديد هي أيضا بمعنى "كثرنا"[2].

ولنفس الغرض يعرض لقراءتين في "تساقط" من قوله تعالى: (تساقط عليك رطبا جنيا) [3]. يقول: "وقرئ: "تساقط" بفتح الأول والثاني مع التشديد وسكون الطاء".

وقرئ: "تساقط" بالتخفيف؛ أي "تتساقط" فحذف إحدى التائين".

يعقب قائلا: "وإذا قرئ "تساقط" فإن "تفاعل" مطاوع "فاعل" وعداه كما عدي في نحو: "تجرعه". وقرئ: "يساقط" أي: يساقط الجذع"[4].

ومنه أيضا ماجاء في قوله تعالى: (كأنهم حمر مستنفرة) [5]. يقول: "قرئ مستنفرة" بفتح الفاء وكسرها.

يوجه القراءتين فيقول: "فإذا كسر فمعناه: "نافرة"، وإذا فتح فمعناه "منفرة"[6].

ومن توجيهاته النحوية ماجاء في قوله تعالى: (حتى يقول الرسول) [7]. يقول: "قرئ" بالنصب والرفع".

---

1) – الأنعام/123.

2) – المفردات مادة "أمر" التخفيف قراءة الحسن ويحيى بن يعمر، والتشديد قراءة ابن عباس. انظر المحتسب لابن جني 15/2.

3) – مريم/25.

4) – المفردات مادة "سقط" الأولى قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم والكسائى، والثانية قراءة الأعمش وحمزة، والثالثة قراءة البراء بن عازب. انظر إعراب القرآن للنحاس 12/3.

5) – المدثر/50.

6) – المفردات مادة "نفر". الفتح قراءة أهل المدينة والحسن والكسر قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة. انظر إعراب القرآن للنحاس 74/5.

7) – البقرة/214.

ثم يعقب قائلا: "فأحد وجهي النصب "إلى أن"، والثاني: "كي".... وأحد وجهي الرفع أن يكون الفعل قبله ماضيا"[1].

وللغرض نفسه يعرض لقوله تعالى: (على كل قلب متكبر جبار) [2]. يقول: "قرئ: "قلب" بالتنوين وعدمه".

يعقب قائلا: "من قرأ بغير تنوين فتوجيه إضافة اللفظ إلى مابعده، وجعل لفظ "المتكبر" مضافا إليه. ومن قرأ بالتنوين جعل لفظ "المتكبر" صفة للقلب"[3].

ومنه أيضا ماجاء في قوله تعالى: (وكفلها زكريا) [4]. يقول: "قرئ "وكفلها" أي: كفلها الله تعالى.

ومن خفف: جعل الفعل لزكريا، المعنى: تضمنها[5].

وفي القليل النادر نراه ينسب القراءة لمن قرأ بها، كالذي جاء في قوله تعالى: (ألا إنهم يثنون صدورهم) [6]. ينقل عن ابن عباس "رض" أنه قرأ "يثنوني صدورهم" من: آثنونيت"[7].

وفي قوله تعالى: (آنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) [8]. ينقل أن ابن أبي إسحاق قرأ "وينعه" وهو جمع: "يانع" وهو المدرك البالغ[9].

وفي قوله تعالى: (فذبحوها وما كادوا

---

1) – المفردات مادة "حتى" النصب قراءة الكوفيين وأبي عمرو والرفع قراءة الحرميين. انظر معاني القرآن للنحاس 204/1.

2) – غافر/35.

3) – المفردات مادة "كبر" التنوين قراءة أبي عمرو. انظر إعراب القرآن للنحاس 33/4.

4) – آل عمران/37.

5) – المفردات مادة "كفل" التشديد قراءة الكوفيين وخفف الباقون. انظر الكشف، للقيسي 341/1.

6) – هود/5.

7) – المفردات مادة "ثنى".

8) – الأنعام/99.

9) – المفردات مادة "ينع".

يفعلون) [1]. ينقل عن حرف عبد الله أنه قرأ: "فنحروها" بدلا من "فذبحوها"[2].

الاستشهاد بالحديث الشريف

إن المتتبع لكتب اللغة والنحو القديمة يلاحظ تحرج علماء هاتين الصنعتين من الإستشهاد بالحديث النبوي الشريف، يقول أبو حيان: "إن الواضعين الأولين لعلم النحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك- أي الإحتجاج بالحديث- وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين"[3]. فاستبعدت الأحاديث النبوية عن مصادر الدرس النحوي.

ويرجح عبد القادر البغدادي ذلك لأمرين[4]:

أولهما: جواز رواية الأحاديث بالمعنى لابـاللفظ، فأكثر اللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس هو الذي نطق به.

يقول أبوحيان: "إنما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول (ص)، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية".

ثانيهما: وقوع اللحن فيما روى من الحديث الشريف لكون كثير من رواته من الأعاجم، فوقع اللحن في نقلهم وهم لايعلمون ذلك.

ورد أحد الباحثين المعاصرين هذه الحجة بقوله: "والقول بأن رواة الحديث أعاجم ليس بشئ، لأن ذلك يقال في رواة

---

1) – البقرة/71.

2) – المفردات مادة "نحر".

3) – لاقتراح للسيوطي ص 17 وهمع الهوامع للسيوطي 105/1.

4) – خزانة الأدب 299/1 و 68/5، 69، و الاقتراح للسيوطي ص 16-18.

الشعر والنثر اللذين يحتج بهما، فإن الكثير منهم من الأعاجم"[1].

هذا ولايعني أن عدم احتجاج القدماء بالحديث أنهم لايجيزون الإستشهاد به، يقول عبد القادر البغدادي: "لايلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به"[2].

والأمر اللافت للنظر أن أحد المتخصصين بالدرس اللغوي ذكر خلاف كلام أبي حيان من أن أغلب القدماء من النحويين واللغويين قد استشهد في اللغة والنحو من الحديث الشريف[3]، كأبي عمرو بن العلاء، والخليل وسيبويه والكسائي، والفراء، وأبي عبيد، وابن الأعرابي، وابن السكيت وغيرهم[4].

ولايفسر قلة ماورد عنهم في الاستشهاد به إلا تحرجا من الأحكام التي تفسر تلك الأحاديث، وهو موضع اجتهاد عند معظم فقهاء المسلمين.

والحق أن اللغويين الأوائل لم يتحرجوا من الاستشهاد بالحديث في اللغة قدر تحرجهم من الاستشهاد به في النحو، إذ كانوا في اللغة أوسع أخذا للحديث.

والجدير بالتنبيه أن أصحاب المعجمات اللغوية اعتمدوا على الحديث، والكوفيون في هذا الباب أكثر من البصريين.

ولابد من الإشارة إلى أن مايقابل المتحرجين هؤلاء نجد أن بعض العلماء كابن خروف وابن مالك والرضي الاسترابادي وغيرهم قد أكثروا من الإستشهاد به في النحو واللغة معا.

ومحصلة القول نجد أن علماء اللغة قد أولوا الحديث الشريف في مصنفاتهم المختلفة، فزادوا انتفاعا به، واهتموا

---

1) – نظرات في اللغة والنحو، طه الراوي: ص 21 وما بعدها.

2) – خزانة الأدب 9/1.

3) – البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر ص61 وما بعدها.

4) – موقف النحاة من الإحتجاج بالحديث، الدكتورة خديجة الحديثي: ص 42 وما بعدها.

اهتماما بالغا وعناية كبيرة فأكثروا وشواهدهم منه أكثر من أن تحصى في كتبهم ومصنفاتهم.

ولايخفى أن النبي (ص) قام بتفسير كتاب الله، وذلك من خلال بيان مجمله، وتوضيح مبهمه، وتخصيص عامه، وإطلاق مقيده، أو إجابته عليه السلام عن أسئلة الصحابة فيما يغمض عليهم منه وهو كثير، فلقد روى عن النبي (ص) أنه قال: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) يعني السنة، لذا قال الشافعي "وكل ماحكم به رسول الله (ص) فهو مما فهمه من القرآن"[1].

وقال يونس بن حبيب: "ماجاءنا عن أحد من روائع الكلام ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[2].

وبديهي أنه لم تشهد العربية في تاريخها الطويل بعد كتاب الله أبلغ وأفصح من كلام النبي (ص).

لقد كان للأحاديث الشريفة في مفردات الراغب نصيب وافر في رفد الدراسة اللغوية وأبوابها، فلوقلبنا صحائف هذا الكتاب لوجدناه قد حفل بأحاديث كثيرة عن النبي (ص) في مناسبات عديدة ولاغراض متنوعة لخدمة المعنى القرآني.

من ذلك استشهاده على معنى "الأمه" من قوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة....) بأنه القائم مقام الجماعة في عبادة الله، نحو: "فلان في نفسه قبيله" بدليل قول النبي (ص): "يحشر زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده"[3].

ويرى أن معنى "البطانه" من قوله تعالى: (لاتتخذوا بطانة من دونكم) هو من اختص بكم يستبطن أموركم وذلك استعارة من بطانة الثوب، بدليل الحديث الشريف: "ما بعث الله من نبي ولا

---

1) – الاقتراح ص 17.

2) – التبيان للطوسي 481/12.

3) – المفردات مادة "أمة"، والحديث في البخاري ك 63 ب 24.

استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه"[1].

وإن معنى "الهون" من قوله تعالى: (وعباد الرحمن يمشون على الأرض هونا) هو تذلل المؤمن في نفسه لما يلحق به غضاضة فيمدح، بدليل قوله (ص): (المؤمن هين لين) [2].

تلك هي طريقة الراغب في الانتفاع من الحديث النبوي الشريف إذ أكثر الإستشهاد منه في مواضع كثيرة من "مفرداته"، وهو منحى يشعرنا بأنه واسع الاطلاع بالحديث، و متيقن بأن كلام رسول الله (ص) قريب من كلام القرآن في الفصاحة والبيان والبلاغة.

شواهد العرب من نظم ونثر

عني أهل اللغة عناية فائقة في الاستشهاد بالشعر، وكتب اللغة والنحو تزخر به، وهو أمر دعا إليه رائد التفسير اللغوي ابن عباس رض عنهما حيث قال: "الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه"[3].

وللشعر أهمية كبيرة في اللغة، فاللغويون:"قد قيدوا به المعاني الغريبة والألفاظ الشاردة فإذا احوجوا إلى معرفة حرف مستصعب ولفظ نادر التمسوه في الشعر الذي هو ديوان لهم متفق عليه، مرضي بحكمه، مجتمع على صحة معانيه وأحكام أصوله، محتج به على ماآختلف فيه من معاني الألفاظ وأصول اللغة"[4].

وطبقات شعراء العربية أربع:

الأولى: طبقة الجاهلين؛ كامرئ القيس، وطرفة بن العبد، وعمرو بن

---

1) – المفردات مادة "بطن".

2) – المفردات مادة "هين".

3) – الإتقان 120/1 وما بعدها.

4) – الزينة في الكلمات الإسلامية، للرازي 1 /83.

كلثوم وعنترة، والنابغة الذبياني.

والثانية: طبقة المخضرمين؛ كحسان بن ثابت، وكعب بن زهير، والخنساء، ومتمم بن نويرة.

والثالثة: طبقة الإسلاميين؛ كجرير والفرزدق والأخطل وأخرهم هرمة.

والرابعة: طبقة المولدين، ويقال لهم المحدثون، وهم الذين عاشوا ابتداء من العصر العباسي كبشار بن برد، وأبي نؤاس.

وقد أجمع العلماء على صحة الاستشهاد بشعر الطبقتين الأولى والثانية، ولايضير ذلك طعن بعض أهل اللغة المتشددين بطائفة من شعراء هاتين الطبقتين.

وذهب جل علماء اللغة أيضا على صحة الاستشهاد بشعر الطبقة الثالثة، عدا بعض شعرائها بحجة اللحن في شعرهم، وعدوهم من المولدين[1].

أما الطبقة الرابعة فالصحيح أنه لايستشهد بكلامها مطلقا، عدا بعض اللغويين الذين أباحوا شعر من يوثق منهم[2].

وخلاصة القول أن اللغويين بعامة قد استشهدوا بكلام العرب الفصحاء، قال السيوطي: "وأما كلام العرب فيحتج منه لما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم"[3].

وللراغب في كتابه "المفردات" اهتمام ظاهر بشواهد الشعر، على نحو يضيق البحث عن حصرها، فقد حفل الكتاب بشواهد كثيرة منه، ولاتكاد تخلو مادة لغوية من بيت شعري أو أكثر، وتتعدد صور الإفادة منه ويبدو أنه قد اختار جل شواهده الشعرية من عصور الإحتجاج.

وأكثر الشواهد التي حفل بها في "مفرداته" لم ينسبها إلى قائليها، والمنسوب

---

1) – خزانة الأدب 6/1.

2) – المصدر نفسه 17/1.

3) – الاقتراح ص 19.

منه قليل جدا، كما أنه أحيانا لايتقيد بذكر البيت كاملا، بل يكتفي بشطر منه، أو جزء من شطر حيث موضع الشاهد.

واستخدم الراغب تلك الشواهد لأغراض مختلفة. وأما كيفية الإفادة منها فإنه يذكر المادة اللغوية القرآنية، ويصرفها إلى صيغها المختلفه ثم يأتي بالشاهد لأغلب تلك الصيغ والتصاريف وماآلت إليه من اشتقاق، وكذا في قضايا نحوية وإعرابية.

من ذلك جاء بشطر بيت على قضية نحوية وحكم إعرابي، في قوله تعالى: (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) يقول: "إن "لا" دخلت على مثبت ويكون هو نافيا لكلام محذوف، ومثله في قوله تعالى: (لاأقسم بيوم القيامة)، وقوله: جل وعلا: (فلا أقسم برب المشارق)، وقوله تعالى اسمه: (فلا أقسم بمواقع النجوم)، وقوله أيضا: (فلا وربك لايؤمنون) [1].... وعلى ذلك قول الشاعر:

.....

..... لا

وأبيك ابنه العامري[2].

ويستشهد ببيت من الشعر على مسألة صرفية وذلك في قوله تعالى:

(قل هو الله أحد) يقول: "وأصل "أحد: وحد"، ولكن "وحد" يستعمل في غيره[3]. نحو قول النابغة:

كأن رجلي وقد زال النهار بنا

بذي الجليل على مستأنس وحد[4].

وللغرض السابق نفسه نجده في تفسير قوله تعالى: (حتى نسوا الذكر وكانوا

---

1) – لآيات: 61/يونس و 1/القيامة و 40 /المعارج و 75/الواقعة و 65/النساء.

2) – المفردات مادة "لا".

3) – المفردات مادة "وحد" والآية 1 /الإخلاص.

4) – البيت في لسان العرب 233/15 وانظر ديوان النابغة.

قومـــا بورا) يستدل ببيت من الشعر على معنى كلمة "بورا" أي: هلكى، وهي جمع مفرده "بائر"، وقيل هو مصدر يوصف به الواحـــد والجمع، فيقال: "رجل بور"، و "قوم بور"[1]، بدليل قول الشاعر:

يارســـــول المللـــــيك إن لســـــاني
راتق ما فتقت إذ أنا بور[2].

وفي نفـــس الغرض أيضا نلاحظه في تفسير قوله سبحانه: (يضاعف لها العذاب ضـــعفين)، وقوله جل وعلا: (وإن تك حســـنة يضاعفها) يقول: "قيل: "ضعفته بالتخفـــيف- ضـــعفا: فهو مضعوف"، فالضعف مصدر، والضعف اسم، كالشئ والشـــئ، فضعف الشئ هو الذي يثنيه، ومـــتى أضـــيف إلى عـــدد اقتضى ذلك العود[3]، وعل هذا قول الشاعر:

جزيـــتك ضـــعف الـــود لما اشتكيته
وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي[4].

ويستدل ببيت من الشعر على صورة بلاغـــيه، قال تعالى: (ولو كنتم في بروج مشـــيدة) يقول الراغب: "يصح أن يراد بها: بروج في الأرض، وأن يراد بها بروج الـــنجوم، ويستعمل لفظ "المشيدة" على ســـبيل الإستعارة، وتكون الإشارة بالمعنى إلى نحو ماقال زهير:

ومـــن هـــاب أســـباب المـــنايا ينلنه
ولونال أسباب السماء بسلم[5].

وفي موضـــع آخر يستدل بشطر بيت عـــلى صورة بلاغية أخرى هي الكناية، قال تعالى: (وثيابك فطهر): (يحمل على الـــثوب، وقيل كناية عن النفس، لقول الشاعر:

ثـــياب بـــني عـــوف طهـــارى نقيه

---

1) – المفردات مادة "بور" والآية 18/الفرقان.
2) – البيـــت في لســـان العرب 535/1 وقد نسبه لعبد الله بن الزبعرى.
3) – المفـــردات مادة "ضعف" والآيتان: 30 /الأحزاب و 40/النساء.
4) – البيت في لسان العرب 62/8 وهو لأبي ذؤيب الهذلي.
5) – المفردات مادة "برج" والآية 78/النساء.

..... [1].

ويستدل ببيت من الشعر على مسألة فقهية وذلك في قوله تعالى: (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة) يقول: "الخطأ أن يريد مالايحسن فعله ويتفق معه خلافه، وهذا مخطئ في الإرادة ومصيب في الفعل، فهو مذموم بقصده، وغير محمود على فعله، وهذا المعنى الذي أراده الشاعر بقوله:

أردت مساءتي فأجرت مسرتي
وقد يحسن الإنسان من حيث لايدري[2].

ويستدل بشطر بيت على معنى لغوي، ففي قوله تعالى: (من ماء غير آسن) يذكر أن معنى "أسن الرجل: مرض من أسن الماء إذا غشى عليه"، ومنه قول الشاعر:

.....
يميد في الرمح ميد المائح الأسن[3].

ولنفس الغرض نجده في تفسير قوله تعالى: (إنا وجدنا آباءنا على أمة) يذكر ان معنى "على أمة" هو على دين مجتمع، يدل عليه قول الشاعر:

.....
وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع[4].

وهكذا يمضي الراغب في الانتفاع من نظم العرب، وفي أغراض متعددة، رائده الدقة، وغايته خدمة المعنى القرآني، فهو على حق فيما يعتمد عليه من شعر، ألا ترى أن لغة العرب فيما انتظمت من شعر كانت أساسا آعتمد عليه أساطين اللغة في تفسير غريب القرآن، لإزالة ما يعتري اللفظ من غموض أو خفاء، وكان رائد هذه الطريقة ابن عباس "رض" في قضية مساءلة ابن الأزرق له، المشهورة في كتب الغريب والتفسير.

وقد يستشهد بأقوال العرب وأمثالهم،

---

1) – المفردات مادة "ثوب" والآية 4/المدثر.
2) – المفردات مادة "خطأ" والآية 92/النساء.
3) – المفردات مادة "أسن" والآية 15/محمد.
4) – المفردات مادة "أمة" والآية 23 /الزخرف.

وما نقل عن الأعراب، تارة لتوثيق المعنى اللغوي، وأخرى على صحة الأبنية.

يعرف الراغب المثل فيذكر أنه عبارة عن قول في شئ آخر بينهما مشابهة بين أحدهما الآخر ويصوره، نحو قول العرب: "الصيف ضيعت اللبن"[1].

وفي مجال الإفادة من الأمثال ما جاء في تفسير قوله تعالى: (وهو خادعهم) يذكر أن المخادعة هنا جاءت بمعنى المجازاة بالخداع، وقيل: "خدع الضب": أي أنه استتر في جحره ويستعمل عقربا تلدغ من يدخل يديه في جحره حتى قيل: "العقرب بواب الضب وحاجبه"، ولاعتقاد الخديعة فيه قيل: "أخدع من ضب"[2].

ولنفس الغرض يستعين بمثل آخر، وذلك في قوله تعالى: (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا)، وقوله سبحانه: (يوم يخرجون من الأجداث سراعا) يقول: "وسرعان القوم: أوائلهم السراع، وقيل: سرعان ذا إهالة"[3].

وفي موضع آخر يستأنس بأسلوب من أساليب من أجل المعنى، ففي قوله تعالى: (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) يقول: "أي: رملا متراكبا، والتكثيب: الصيد إذا أمكن من نفسه، والعرب تقول: "أكثبك الصيد فآرمه"؛ وهو من الكتب: أي القرب"[4].

الراغب والتفسير الأثري

ومن خصائص منهجه في مفرداته عنايته بالتفسير المأثور عن السلف، وكتابه جامع ثروة كبيرة لهذا اللون من المنقول.

لقد اعتمد الراغب كثيرا على آراء المفسرين من أهل البيت وصحابة ولغويين وغيرهم للإفادة منها في خدمة معاني كتاب الله المجيد. وجل المأثور عن السلف

---

1) – المفردات مادة "مثل".
2) – المفردات مادة خدع".
3) – المفردات مادة "سرع" والآيتان 44/ق و 43/المعارج.
4) – المفردات مادة "كتب" والآية 14/المزمل.

يورده من غير نسبة، عدا القليل فإنه ينسبه لقائليه.

فمن الذين اعتمد عليهم وأفاد منهم في هذا الباب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "ع"، والأمام محمد الباقر "ع" وابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، وأبو العالية، ومجاهد، وعكرمة، ومن اللغويين: الخليل وسيبويه والفراء وأبوعبيدة وغيرهم ممن مر ذكرهم سالفا في مجالي اللغة والنحو.

والأمر الراجح أن الاعتماد على المأثور في باب التفسير هو من الطرق السليمة المعتمدة في إيضاح معاني كتاب الله المجيد.

وفيما يلي نورد بعض الشواهد من تفسيره لنقف على الأسلوب الذي استخدمه الراغب في الإنتفاع من المنقولات الأثرية.

ففي قوله تعالى: (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) يورد بعض أقوال السلف في تفسيرها فيقول: "وأبشرت الأرض: حسن طلوع نبتها، ومنه قول ابن مسعود "رض": "من أحب القرآن فليبشر" أي: فليسر. وقال الفراء: إذا ثقل فمن البشرى، وإذا خفف فمن السرور وقال سيبويه: فأبشر وقال ابن قتيبة: هو من بشرت الأديم إذا دققت وجهه، قال: ومعناه "فليضمر نفسه"[1].

وفي قوله تعالى: (من آيات الله والحكمة) يروى عن بعض السلف في معناها، فيقول: "قال ابن عباس "رض": هي علم القرآن؛ ناسخه ومنسوخه، محكمه ومتشابهه. وقال ابن زيد: هي علم آياته وحكمه. وقال السدي: هي النبوة"[2].

ومنه أيضا ماجاء في قوله تعالى: (إن ترك خيرا) يقول: "أي مالا، وقال بعض الأدباء: لايقال للمال خير حتى يكون

---

1) – المفردات مادة "بشر" والآية 30/فصلت.

2) – المفردات مادة "حكم" والآية 34 /الأحزاب.

كثيرا لما روي أن عليا عليه السلام دخل على مولى له فقال العبد: ألا أوصي ياأمير المؤمنين؟ قال: لا، لأن الله تعالى قال: (إن ترك خيرا) وليس لك مال كثير"[1].

ويورد في قوله تعالى: (وآذكر ربك إذا نسيت) قولين في تفسير ذلك:

أحدهما عن ابن عباس ومفاده: إذا قلت شيئا و لم تقل: "إن شاء الله" فقله إذا تذكرته.

والثاني عن عكرمة أنه قال: "معنى "نسيت: ارتكبت ذنبا" ومعناه: اذكر الله إذا أردت وقصدت ارتكاب ذنب يكن ذلك دافعا لك"[2].

وكثيرا ما يستطرد الراغب في مجال التفسير النقلي أسوة بالمفسرين ممن سبقه من أصحاب المطولات التفسيريه وإن كان كتابه لم يكن منها.

ونورد مثالا واحدا في هذا الباب ونترك غيرها من أمثلة بالاكتفاء في الإحالة على رقم صفحاته من كتابه.

ففي تفسير قوله تعالى: (طوعا وكرها) ينقل لنا سبعة أقوال يقول: "معناه: أسلم من في السموات طوعا ومن الأرض كرها، أي الحجة أكرهتهم وألجأتهم كقولك: الدلالة أكرهتني على القول بهذه المسألة، وليس هذا من الكرم المذموم.

الثاني: أسلم المؤمنون طوعا والكافرون كرها إذ لم يقدروا أن يمتنهوا عليه بما يريد بهم ويقضيه عليهم.

والثالث: عن قتادة: أسلم المؤمنون طوعا والكافرون كرها عند الموت حيث قال-تعالى-: (فلم يك ينفعهم إيمانهم.... الآيه).

والرابع: عني بالكره من قوتل وألجئ إلى أن يؤمن.

والخامس: عن أبي العاليه ومجاهد: أن كلا أقر بخلقه إياهم وإن أشركوا معه

---

1) – المفردات مادة "خير" والآية 180/البقرة.

2) – المفردات مادة "نسي" والآية 24 /الكهف.

كقوله -تعالى-: (ولئن سألتهم من خلقهم؟ ليقولن الله).

والسادس: عن ابن عباس: أسلموا بأحوالهم المنبئة عنهم وإن كفر بعضهم بمقالهم وذلك هو الإسلام في الذر الأول حيث قال تعالى: (ألست بربكم؟ قالوا: بلى) وذلك هو دلائلهم التي فطروا عليها من العقل المقتضي لأن يسلموا، وإلى هذا أشار بقوله: (وظلالهم بالغدو والآصال).

والسابع: عن بعض الصوفيه: أن من أسلم طوعا هو طالع المثيب والمعاقب لا الثواب والعقاب فأسلم رغبة ورهبة. ونحو هذه الأية قوله تعالى: (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها) [1].

واستطرادات الراغب في دائرة التفسير بالمأثور كثيرة، حيث أسهب المصنف في الإفادة منه وأطال.

المنحى النقدي في مفرداته

ومن مظاهر منهجه أيضا منحاه النقدي الذي يعد امتدادا للاتجاه النقدي لعامة أهل اللغة والتفسير، إذ وجد في تاريخ التفسير القرآني لدى كثير من المفسرين اتجاه مهد له أهل اللغة اتخذ طرقا مختلفة في النقد كنقد الأخبار والنقول والآراء التفسيرية.

يقوم النقد على أسس ينبغي ألا يتخطاها الناقد، وهو بلا شك يدخل في دائرة التأويل القائم على الجمع بين المنقول والمعقول، وهو أمر لايرفضه منطق العلم ولايخالف الحق إن كان سليما في صوابه المعهودة لدى العلماء المنصفين.

ونلمس هذا المنحى واضحا في مفردات الراغب، فهو حريص أشد الحرص فيما ينقله من أقوال وما يرتضيه من آراء، كل ذلك قائم على الموازنة العلمية، ومن مظاهر ذلك:

1- يورد الأقوال المختلفة في معنى

---

1) – المفردات مادة "كره" والآيات: 83/آل عمران و15/الرعد و85/غافرو87/الزخرف و 72/الأراف و15/الرعد.

اللفظ القرآني فيرتضي بعضها دون مرجح، ففي قوله تعالى:(ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) يقول: "قيل: إن معنى القلب هو العقل. وقيل: الروح".

ويبدو أنه يرتضي أحد القولين فيقول: "فأما العقل فلا يصح عليه ذلك"[1].

2- وأحيانا ينقل الآراء ويرتضيها جميعا، إما لأنها تدخل في عموم معنى الآية، أو أنها توافق سياق القرآن.

فمن النوع الأول ماجاء في قوله تعالى: (وأولي الأمر منكم) يورد عدة أقوال فيقول: "قيل: عني الأمراء في زمن النبي عليه الصلاة والسلام.

وقيل: الآئمة من أهل البيت عليهم السلام.

وقيل: الآمرون بالمعروف.

وقال ابن عباس "رض": هم الفقهاء وأهل الدين المطيعون لله".

ويرتضي الراغب الأقوال جميعها لأنها تدخل في عموم المعنى، ويقول: "وكل هذه الأقوال صحيحة، ووجه ذلك أن أولي الأمر الذين بهم يرتدع الناس أربعة:

الأنبياء: وحكمهم على ظاهر العامة والخاصة وعلى بواطنهم.

والولاة: وحكمهم على ظاهر الكافة دون باطنهم.

والحكماء: وحكمهم على باطن الخاصة دون الظاهر.

والواعظة: وحكمهم على بواطن العامة دون ظواهرهم"[2].

ومن الأمر الثاني ما جاء في قوله تعالى: (وآدعوا شهداءكم) يورد وجهين في المقصود من "الشهداء" هنا، أحدهما عن ابن عباس: ومعناه أعوانكم. والثاني عن ابن مجاهد بأنهم الذين يشهدون لكم.

ويحتمل الراغب الوجهين لموافقتهما سياق القرآن، ويقول: "وقد حمل على هذه الوجوه قوله تعالى: (ونزعنا من كل

1) – المفردات مادة "قلب" والآية 46/الحج.

2) – المفردات مادة "أمر" والآية 59/النساء.

أمة شهيدا)، وقوله سبحانه: (وإنه على ذلك شهيد)، وقوله جل وعلا: (أنه على كل شئ شهيد) [1].

3- وأحيانا يوازن بين الأقوال، ويفاضل فيما بينها فيرجح بعضها على بعض، يضعف وجها فيرفضه، ويختار آخر، وفي كلتا الحالتين يقيم الأدلة، واختياراته وترجيحاته قائمة على ضوابط يعتمدها.

فهو يرفض وجها لمخالفته قواعد التصريف ويختار غيره، ففي قوله تعال: (فآدارأتم) يذكر أولا الوجه المختار فيقول: "هو "تفاعلتم" أصله: "تدارأتم" فأريد منه الإدغام تخفيفا وأبدل من التاء دال فسكن للإدغام فآجتلب لها ألف الوصل فحصل على "أفاعلتم".

ثم يورد الوجه المرجوع فيضعفه من عدة وجوه يقول: "قال بعض الأدباء: "ادارأتم" افتعلتم"، وغلط من أوجه" ثم يوضح تلك الأوجه وهي:

أولا: إن "ادارأتم" على ثمانية أحرف، و "افتعلتم" على سبعة أحرف.

والثاني: إن الذي يلي ألف الوصل "تاء" فجعلها "دالا"

والثالث: إن الذي يلي الثاني "دال" فجعلها "تاء".

والرابع: إن الفعل الصحيح العين لايكون ما بعد "تاء" الافتعال منه إلا متحركا، وقد جعله هاهنا ساكنا.

والخامس: إنه هاهنا قد ورد بين "التاء" و "الدال" زائد، وفي "افتعلتم" لايدخل ذلك.

والسادس: إنه أنزل "الألف" منزل "العين" وليست بـ "عين".

والسابع: إن "افتعل" قبله حرفان، وبعده حرفان، و "ادارأتم" بعده ثلاثة أحرف[2].

---

1) – المفردات مادة "شهد" والآيات 23/البقرة و 75/القصص و 7/العاديات و 53/فصلت.

2) – المفردات مادة "درأ" والآية 72/البقرة.

وللعلة نفسها يرفض وجها فقهيا لمخالفته أيضا قواعد التصريف.

ففي قوله تعالى: (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) يقول: "قال أصحاب الشافعي: "الطهور" بمعنى "المطهر"، وذلك لايصح من حيث اللفظ، لأن "فعولا" يبنى من "أفعل، وفعل"؛ وإنما يبنى ذلك من "فعل". وقيل: إن ذلك اقتضى التطهير من حيث المعنى"[1].

وفي موضع آخر من مفرداته يرتضي وجها يوافق معنى اللفظ من جهة اللغة، قال تعالى: (تسرون إليهم بالمودة) بمعنى تطلعونهم على ما يسرون من مودتهم، وقد فسر معناه "يظهرون".

يعقب الراغب فيقول: "وهذا صحيح فإن الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضى إليه السر وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره"[2].

وللغرض نفسه في الآية الكريمة (يحرفون الكلم عن مواضعه) يذكر وجهين:

الأول: إنهم كانوا يبدلون الألفاظ ويغيرونها.

والثاني: إنه كان من جهة المعنى، وهي حمله على غير ما قصد به واقتضاه.

يرجح الراغب الوجه الثاني لأنه أمثل القولين والموافق لمقتضى الحال والمألوف لأن اللفظ إذا تداول الألسنة واشتهر يصعب تبديله[3].

ويرفض وجها نحويا لمخالفته المعنى المراد، ففي قوله تعالى: (عينا يشرب بها المقربون)، وقوله جل وعلا: (عينا يشرب بها عباد الله)، لم يرتض أن تكون "الباء" في النصين الكريمين بمعنى "من"، يوجه ذلك بقوله: "والوجه أن لايصرف ذلك عليه، وأن العين إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء لا إلى الماء بعينه نحو: "نزلت

---

1) – المفردات مادة "طهر" والآية 48/الفرقان.

2) – المفردات مادة "سر" والآية 1/الممتحنة.

3) – المفردات مادة "كلم" والآية 13/المائدة.

بعين" فصار كقولك: "مكانا يشرب" وعلى هذا قول -جل وعلا- (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أي بموضع العذاب"[1].

واعتماده السياق في المفاضلة بين المعاني المنقولة، هو الآخر طريق من طرق التأويل، وقد اعتمده الراغب كثيرا في مفرداته، وهو ما سنسلط الضوء عليه في الفقرة التالية وهي الأخيرة التي نختتم بها هذا البحث.

الراغب وقضية السياق القرآني

إن أكثر الفصول والمجموعات في السور القرآنية -كما هو معروف- متصلة السياق ترتيبا أو موضوعا أو سببا أو نزولا، وإن فهم مداها وظروفها الزمنية والموضوعية وخصوصياتها وعمومياتها فهما صحيحا لايتيسر -إلا بملاحظة تسلسل السياق والتناسب.

وقد عرف أحد كبار العلماء المعاصرين السياق بأنه كل ما يكشف اللفظ الذي يراد فهمه من دوال أخرى، سواء أكانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي يراد فهمه كلاما واحدا مترابطا، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع[2].

والقرآن الكريم لايمكن بتر آياته أو عباراته، وذلك لوحدة السياق في كثير من المواضع.

فملاحظة السياق بين الآيات القرآنية مفيد غاية الفائدة، وضروري جدا في معرفة مقاصد القرآن الكريم وأهدافه ومواضيعه.

وأما أهم فوائد السياق فهي كما يلي:

أولا- يبين فهم مواضيع القرآن وأهدافه.

---

1) – المفردات مادة "الباء" والآيات 28 /المطففين و 6/الإنسان و 188/آل عمران.

2) – دروس في علم الأصول، محمد باقر الصدر ص 30.

ثانيا- يبرز الناحية الإعجازية والروعة والإنسجام في كتاب الله المجيد.

ثالثا- يعين على إزالة وهم التعارض، أو توهم التناقض بين بعض نصوص القرآن الكريم[1].

رابعا- يزيل الخطأ العالق في الذهن: من أن الفصول القرآنية فوضى لاترتيب بينها ولاانسجام.

فالسياق هو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمثلا أن الآية الكريمة: (ذق إنك أنت العزيز الكريم) تدل بسياقها على أن المقصود هنا هو الذليل المهان[2].

والجدير بالتنبيه أن فكرة السياق قد استخدمت في العصور المتقدمة من حياة المسلمين لدى علماء اللغة، فقد أشارت القرائن إلى أن الفراء إمام المدرسة الكوفية بعد الكسائي قد استخدمها في مناسبات كثيرة من تفسيره "معاني القرآن" كمعين في استخراج المعاني القرآنية بشكل موسع وإن لم يصرح بها أحيانا.

فمن أمثلة ذلك مراعاته السياق في قوله تعالى:(أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يقول: "ترك جوابه و لم يقل: ككذا وكذا، لأن المعنى معلوم، وقد بينه ما بعده إذ قال-تعالى اسمه:(وجعلو لله شركاء) [3].

وجاء المتأخرون من علماء القرآن فأكدوا على ضرورة معرفة السياق القرآني في تفسير كتاب الله العزيز، فذهب الزركشي إلى القول: بأنه إذا لم يرد في التفسير نقل عن السلف فطريق فهمه هو النظر إلى مفردات الألفاظ من

1) – القرآن المجيد، دروزة ص 204 باختصار.
2) – تفسير القرطبي 151/16 والآية 33 /الرعد.
3) – معاني القرآن للفراء 64/2 والآية 33 /الرعد. وانظر في الموضوع نفسه معاني القرآن 41/1 و 60/2، 621.

اللغة العربية ومدلالاتها بحسب السياق[1].

كما أكد السيوطي أيضا على وجوب مراعاة المفسر للمعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام وأن يؤاخي بين المفردات[2].

وتلقف فكرة السياق مجموعة من المفسرين في القرن الخامس الهجري ومابعده، وشاع استعمالها في تفاسيرهم بشكل موسع، وكان منطلقهم في كثير من المواقف النظر إلى المسار المعنوي للآية-لتخير الأوفق من الآراء والوجوه فيطرحوا ما نأى عنه، ويأخذوا مايرتبط بالسياق ارتباطا عضويا فيأخذوا بحجر سابقه ولاحقه في تآلف واتساق، ومن هؤلاء العلماء: الراغب الأصبهاني في "مفرداته"، والبغوي الفراء في تفسيره "معالم التنزيل"، والطبرسي في تفسيره "مجمع البيان"[3].

وأكثر الراغب من استخدام هذه الفكرة في مفرداته، وكان بحق كما يقول الزركشي: أنه يتصيد المعاني القرآنية من السياق[4].

وفكرة السياق ترتبط أولا بتفسير القرآن بالقرآن التي مر ذكرها، وثانيا تعد عنصرا من العناصر التي تخدم قضية التأويل.

وينحصر منحاه فيها وفق ما يلي:

1- إن هدف عامة أهل التفسير تسليط الضوء على النص القرآني أولا وقبل كل شئ لتحديد المعنى المراد، محاولين التماس القرائن المختلفة ذات الإرتباط الوثيق بالمعنى من القرآن نفسه، وفي مقدمة تلك القرائن تصيد المعاني من السياق القرآني.

---

1) – البرهان للزركشي 172/2 بتصرف.

2) – الإتقان، للسيوطي 227/4 بتصرف.

3) – وأمثلته كثيرة في تفاسير هؤلاء وهي أكثر من أن تحصئ.

4) – البرهان 291/1.

ويقف الراغب في مقدمة هؤلاء، فقد أسهب في آعتماده السياق، وأغلب تفسيره قائم على الإفادة منه، فكثيرا ما كان يتصيد المعنى باحثا عن القرينة التي طالما يجدها في السياق نفسه.

ففي قوله تعالى: (ونزلنا من السماء ماء مباركا) يذكر بركة ماء السماء التي نبه عنها تعالى اسمه بقوله: (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض) [1].

وفي موضع آخر من تفسيره يبين أن المعنى المراد من قوله تعالى: (لاجرم أن لهم النار) في أنه ليس بجرم استحقاقهم النار، وهم قد اكتسبوها بما ارتكبوه، إشارة إلى قوله جل وعلا: (ومن أساء فعليها) [2].

وفي الآية الكريمة: (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين). يستدل الراغب على أنه تعالى نفى عن الكافرين الإنظار، ويلمح هذا المعنى أيضا فيما نبه عنه سبحانه في قوله: (فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) [3].

ولايقف الراغب في النظر إلى سياق واحد، بل يتعدى إلى الاثنين أو الأكثر، لأن القرآن يفسر بعضه بعضا، فهو يراعي المعنى الواحد في أكثر من موضع.

فمن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: (لاأقسم بهذا البلد) والمقصود من البلد هو "مكة المكرمة" إشارة إلى قوله تعالى: (رب آجعل هذا البلد آمنا)، وقوله سبحانه: (بلدة طيبة) [4].

ومنه ماذكره في بيان معنى "الرد" من قوله تعالى: (ولايرد بأسه عن القوم

---

1) – المفردات مادة "برك" والآيتان: 9/ق و 18/المؤمنون.

2) – المفردات مادة "جرم" والآيتان: 62 /النحل و 36/فصلت.

3) – المفردات مادة "نظر" والآيات 29 /الدخان و 34/الأعراف.

4) – المفردات مادة "بلد" والآيات 1/البلد و 35/إبراهيم و 15/سبأ.

المجرمين) من أنه صرف الشئ بذاته أو بحالة من أحواله، يقال: "رددته فارتد".

وهو يراعي المعنيين في استعمال القرآن الكريم فيقول: "فمن الرد بالذات قوله تعالى: (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه)، وقوله: (ثم رددنا لكم الكرة)، وقوله: (فرددناه إلى أمه) وقوله: (ياليتنا نرد ولانكذب).

ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله تعالى: (يردوكم على أعقابكم)، وقوله: (وإن يردك بخير فلا راد لفضله) [1].

2- وضمن هذا المنحى نرى المفسر يتتبع بعض مسائل النحو والصرف في أكثر من موضع من كتاب الله المجيد دعما للمعنى.

نراه يعرض للفظة "برح" مثلا من قوله تعالى: (لأأبرح...) فيلمح استعمالها في القرآن الكريم انطلاقا من الآية نفسها فيذكر أنها خصت للإثبات كقولهم لأزال، لأن "برح"، وزال" اقتضيا معنى النفي، و"لا" للنفي، والنفيان يجعل من اجتماعهما إثبات، وعلى ذلك قوله عز وجل: (لن نبرح عليه عاكفين) وقوله: (لأأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) [2].

وللغرض نفسه نراه يتتبع استعمالات "لا" الذي يلمس فيه نوع الأداة ومعناها.

ففي قوله تعالى: (لايسخر قوم من قوم)، وقوله: (ولاتنابزوا بالألقاب) يذكر أن "لا" هنا ناهية، وعلى هذا النحو في القرآن الكريم قوله تعالى: (يابني آدم لايفتننكم الشيطان)، وقوله: (لايحطمنكم سليمان وجنوده).

كما يورد استعمالا آخر لها في كتاب الله المجيد، ففي قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلا الله)

---

1) – المفردات مادة "رد" والآيات 147/الأنعام و 28/الأنعام و 6/الإسراء و 13القصص و 27 /الأنعام و 14/آل عمران.

2) – المفردات مادة "برح" والآيات 60 /الكهف و 91/طه و 60/الكهف.

فيذكر أن اللام هنا تفيد النفي والتقدير: أنهم لايعبدون....

ويستحرى هذا المعنى في القرآن كله كقوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دمائكم)، وقوله جل وعلا: (ومالكم لاتقاتلون) [1].

وفي مناسبة أخرى يتابع استعمال "ثم" فيقول، "هي حرف عطف يقتضي تأخر ما بعده عما قبله؛ إما تأخيرا بالذات أو بالمرتبة أو بالوضع حسبما ذكر في "قبل" وفي "أول"، قال الله تعالى: (أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون)، وقال: (ثم قيل للذين ظلموا)، وقال عز وجل: (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك) وأشباهه"[2].

ونلمس هذا المنحى حين يرفض القول بزيادة الباء في نحو قوله تعالى: (وكفى بالله)، لأنه يرى أن الفعل (كفى) في الآية موضوع موضع (أكتف) ومعناه: أكتف بالله شهيدا.

ويبحث الراغب عن نظائر هذا الاستعمال في القرآن الكريم فيقول: "وعلى هذا قوله تعالى: (وكفى بربك هاديا ونصيرا)، وقوله: (وكفى بالله وليا)، وقوله: (أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) [3].

ومن مظاهر هذا الإتجاه أنه يلحظ تصريف الألفاظ مراعاة للمعنى، كالتذكير والتأنيث والجمع وغيرها.

فنراه مثلا يذكر معنى البطن هو الجارحة، وجمعه "بطون"[4]، بدليل قوله تعالى: (وإذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم)

---

1) – المفردات مادة "لا" والآيات 11 /الحجرات و 27/الأعراف و 18/ النحل و 83 -84/ البقرة و 75/النساء.

2) – المفردات مادة "ثم" والآيات 51-52 /يونس و 52/البقرة.

3) – المفردات مادة "الباء" والآيات 31 /الفرقان و 45/النساء و 53/فصلت.

4) – النص المفسر في النساء / الآيات 45/16، 70

[1].

وفي لفظة"البعل" يقول هو الذكر من الزوجين، بدليل قوله عز وجل: (وهذا بعلي شيخا) وجمعه"بعولة" نحو:" فعل وفعولة"، وقوله سبحانه: (وبعولتهن أحق بردهن) [2].

وهكذا يمضي الراغب في الإفادة من قضية السياق للوصول إلى المعنى المراد والإفصاح عنه.

ومما تقدم نصل إلى معرفة القواعد الأساسية والخطوط العريضة التي استخدمها الراغب في تفسيره المفردات وهي بمجموعها تخدم الاتجاه اللغوي للمؤلف في كتابه المذكور وجاء بحثنا موجزا غاية الإيجاز وقد حقق أغراضه العلمية والموضوعية والمنهجية.

---

1) – المفردات مادة "بطن" والآية 32/النجم.

2) – المفردات مادة "بعل" والآيتان 72/هود و 228/البقرة.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الإتقان، السيوطي– تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم– مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة 1974هـ.
3. الاضداد– قطرب– تحقيق هانس كوفلر– مجلة إسلاميكا المجلد الخامس سنة 1921م.
4. إعراب القرآن– أبو جعفر النحاس– تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد– مطبعة عالم الكتب– القاهرة– الطبعة الثانية سنة 1405هـ.
5. الإقتراح، السيوطي– تصحيح عبد الرحمن بن يحيى– مطبعة دار المعارف العثمانية– حيدر أباد سنة 1309هـ.
6. إنباه الرواه، القفطي– تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم– مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة 1950هـ. ونسخة أخرى تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة 1950م

7. البحث اللغوي عند العرب- الدكتور أحمد مختار عمر- مطابع سجل العرب بالقاهرة سنة 1971هـ.

8. البرهان- بدر الدين الزركشي- تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم- مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة 1383.

9. بغية الوعاة، السيوطي- تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم- مطبعة البابي الحلبي، القاهرة 1964م.

10. تاريخ اللغات السامية- إسرائيل ولقسون- مطبعة الإعتماد بالقاهرة 1929 هـ.

11. التبيان، أبو جعفر الطوسي- مطبعة النعمان، النجف الأشرف د.ت.

12. الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- الطبعة الثالثة بالقاهرة سنة 1967.

13. خزانة الأدب- عبد القادر البغدادي- تحقيق عبد السلام هارون مطبعة دار الثقافة- بيروت- د.ت.

14. دائرة المعارف الإسلامية- دار انتشارات جهان- طهران- د.ت.

15. دروس في علم الأصول- محمد باقر الصدر- بيروت- الطبعة الأولى سنة 1978م.

16. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية- أحمد بن حمدان الرازي- تحقيق الدكتور حسين الهمداني- مطابع دار الكتاب العربي القاهرة سنة 1957م.

17. الصاحبي في فقه العربية- أحمد بن فارس- تحقيق مصطفى الشويمي- بيروت- د.ت. ونسخة أخرى تحقيق أحمد صقر- مطبعة عيسى الحلبي القاهرة.

18. صحيح البخاري بشرح السندي مطبعة عيسى الحلبي- القاهرة- د.ت.

19. طرق تنمية الألفاظ- الدكتور إبراهيم أنيس- مطبعة دار النهضة الجديدة بالقاهرة سنة 1966م.

20. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك- مطبعة دار الفكر بيروت 1968

21. الفهرست- ابن النديم- المطبعة

الرحمانية- القاهرة- د.ت.

22. الكشاف- الزمخشري- مطبعة الإ؟ستقامة بالقاهرة سنة 1365هـ.

23. لسان العرب، ابن منظور- دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية سنة 1412هـ.

24. المحتسب، ابن جني- تحقيق علي النجدي ناصف- دار التحرير للطباعة بالقاهرة سنة 1381هـ.

25. المزهر، السيوطي- تحقيق محمد أحمد جاد المولى- مطبعة البابي الحلبي- القاهرة. د.ت. ومطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة 1966.

26. معاني القرآن، الفراء- تحقيق محمد علي النجار- الدار المصرية للتأليف والترجمه.

27. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم- محمد فؤاد عبد الباقي- القاهرة 1364هـ.

28. مغني اللبيب، ابن هشام- تحقيق الدكتور مازن المبارك- الطبعة الخامسة بيروت 1979م.

29. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني- تحقيق نديم مرعشلي- دار الكاتب العربي- القاهرة-د.ت.

30. مقدمة في أصول التفسير، ابن تيميه- المطبعة السلفية- القاهرة سنة 1397هـ.

31. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف- الدكتورة خديجة الحديثي- دار الطليعة للطباعة- بيروت 1981م.

32. نزهة الألباء، أبو البركات الأنباري- تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي بغداد 1959م

33. نظرات في اللغة والنحو دكتور طه الراوي- نشر المكتبة الأهلية بيروت 1962م.

34. همع الهوامع، السيوطي- تحقيق عبد السلام- مطبعة دار البحوث العلمية- الكويت- 1394هـ.